ISSN: 2750-6142

المجلد 3، العدد 8، 2024
Vol: 3 / N°: 8 (2024)

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

Arabic Translation Work:

Norman Fairclough (Author)

Critical Discourse Analysis*

Mohamed Saoudane (Translator)
Ibn Tofaïl University, Kenitra, Morocco
Email : mohamed.saoudane@uit.ac.ma
Orcid : 0009-0000-3779-2812

Received	Accepted	Published
20/5/2024	9/7/2024	15/7/2024

DOI : 10.63939/AJTS.9h4k2q21

Cite this article as : Fairclough, N. (2024). Critical Discourse Analysis (M, Saoudane, Trans.). *Arabic Journal for Translation Studies, 3*(8), 168-182.

Abstract

In this article, Norman Fairclough provides a careful summary of his approach to critical discourse analysis, which he called practical reasoning, which he established in relation to political discourse around the 2008 financial crisis and appeared in his book with Elizabeth Fairclough on the analysis of political discourse 2012. Fairclough locates this approach within critical social analysis. This approach aims to analyze social errors and criticize them normatively and interpretively in order to solve them by starting from the discursive level, or what he calls semiosis. It establishes a formative, productive, and transformative dialectical relationship between social structures, systems, practices, and events and discursive structures, systems, practices, and events. Unlike his first, dialectical, relational model, this model focuses on the manner of action and its practical justifications. That is, decisions for change resulting from practical reasoning and arguments in rhetorical deliberation between competing discourses and visions, rather than focusing on the discourses themselves, that is, ideological representations. He saw that the goal of critical discourse analysis does not end with the normative criticism that condemns social errors based on specific standards and values, nor with the explanatory criticism that reveals and clarifies the foundations of these errors, but rather in the action that leads to resolving them and changing the social reality that embraces them.

Keywords: Critical Discourse Analysis, Critique, Practical Reasoning, Discourse, Transdisciplinary

© 2024, Saoudane, licensee Democratic Arab Center. This Translated Paper is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

* نُشِرت هذه المقالة في دليل روتليدج لتحليل الخطاب سنة 2012 وأعيد نشرها مع تعديلات طفيفة سنة 2023:
Fairclough, N. (2013). Critical discourse analysis. In J. P. Gee & M. Handford (Eds.), *The Routledge handbook of discourse analysis* (pp. 9-20). Routledge Press.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 3، العدد 8، 2024
Vol: 3 / N°: 8 (2024)
ISSN: 2750-6142

عمل مترجَم:

نورمان فيركلاف (المُؤَلِّف)

التحليل النقدي للخطاب

محمد صوضان (المترجِم)
جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب
الايميل: mohamed.saoudane@uit.ac.ma
أوركيد: 0009-0000-3779-2812

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024/5/20	2024/7/9	2024/7/16

DOI : 10.63939/AJTS.9h4k2q21

للاقتباس: فيركلاف، ن. (2024). التحليل النقدي للخطاب (ترجمة محمد صوضان). *المجلة العربية لعلم الترجمة، 3*(8)، 168-182.

ملخص

يقدم نورمان فيركلاف في هذا المقال خلاصة مركزة لمقاربته في التحليل النقدي للخطاب، وتحديدا النسخة الأخيرة منها التي أرساها في علاقة بالخطاب السياسي الدائر حول الأزمة المالية التي اجتاحت العالم بعيد منتصف العقد الأول من الألفية الثالثة والتي وسمها بالمنطق الجدلي. يموقع فيركلاف هذه المقاربة ضمن التحليل الاجتماعي النقدي، ويسعى من خلالها إلى مقاربة الأخطاء الاجتماعية ونقدها معياريا وتفسيريا في سبيل حلها بالانطلاق من المستوى الخطابي، أو ما يسميه بالسيميوزيس؛ إذ يرى البنى والنظم والممارسات والأحداث الاجتماعية تتفاعل في علاقة جدلية تكوينية وإنتاجية وتحويلية مع البنى والنظم والممارسات والأحداث الخطابية. وعلى خلاف نموذجه الأول العلائقي الجدلي يركز هذه النموذج على كيفية الفعل؛ أي قرارات التغيير الناتجة عن التفكير والحجاج العمليين في التداول الخطابي بين الخطابات والرؤى المتنافسة بدل التركيز على الخطابات في حد ذاتها، أي التمثيلات الإيديولوجية. إذ رأى أن غاية التحليل النقدي للخطاب لا تتوقف عند النقد المعياري المدين للأخطاء الاجتماعية انطلاقا من من معايير وقيم محددة، ولا عند النقد التفسيري الذي يكشف ويوضح أسس هذه الأخطاء، بل في الفعل المؤدي حلها وتغيير الواقع الاجتماعي الذي يحتضنها.

الكلمات المفتاحية: التحليل النقدي للخطاب، النقد، المنطق العملي، الخطاب، عابر للتخصص

©2024، صوضان، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.
نُشر هذا النص المترجَم وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0).
تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

مقدمة

يُدْرِجُ التحليل النقدي للخطاب (Critical discourse analysis) التقليدَ النقديَّ للتحليل الاجتماعي في دراسات اللغة، مسهما في التحليل الاجتماعي النقدي بالتركيز، بشكل خاص، على الخطاب وعلى العلاقات بينه وبين العناصر الاجتماعية؛ وتحديدا، من بين أمور أخرى، علاقات السلطة، والإيديولوجيات، والمؤسسات، والهويات الاجتماعية. ويمكن فهم التحليل الاجتماعي النقدي على أنه نقد معياري (normative) وتفسيري (explanatory)؛ معياري لأنه لا يصف الحقائق القائمة فحسب، بل يُقَيِّمُهَا أيضا، ويُقَيِّمُ مدى توافقها مع القيم المختلفة التي تعتبر، بشكل أو بآخر، أساسية للمجتمعات العادلة والكريمة؛ وفق معايير، مادية وسياسية وثقافية، معينة لرفاهية الإنسان. وتفسيري من حيث إنه لا يصف الحقائق الموجودة فحسب، بل يسعى إلى تفسيرها من خلال إبرازها على أنها آثار لبنيات أو آليات أو قوى يفترضها المحلل ويسعى إلى اختبارها واقعيا؛ على سبيل المثال، اللامساواة في الثروة والدخل والوصول إلى مختلف الخيرات الاجتماعية يمكن تفسيره كتأثير للآليات والقوى المرتبطة بـ"الرأسمالية".

درج التحليل الاجتماعي النقدي ضمن تقليد طويل، واضح على سبيل المثال عند ماركس (Marsden, 1999)، على النظر إلى الواقع الاجتماعي على أنه، إن صح التعبير، "مُتَوَسَّط مفاهيميا" (conceptually mediated)؛ وهذا يعني أنه لا توجد أحداث أو ممارسات اجتماعية دون تمثيلات (representations) أو تأويلات (construals) أو تصورات (conceptualizations) أو نظريات (theories) لهذه الأحداث والممارسات، أو بعبارة أخرى؛ إن الحقائق الاجتماعية لها خاصية عكسية، أي أن الطريقة التي يراها بها الناس ويمثلونها ويتصورونها ويؤولونها هي جزء من هذه الحقائق. لذلك يمكن القول إن "موضوعات" التحليل الاجتماعي النقدي هي "مادية-سيميائية" (material–semiotic) (Jessop, 2004)، أي أنها مادية وسيميائية في الوقت نفسه، والاهتمام المركزي ينصب على العلاقات بين المادي والسيميائي (Jessop, 2004) أو "الخطاب"، والتي أعتبرها علاقات جدلية (Fairclough, 2006). وهكذا فإن التحليل الاجتماعي النقدي ذو طبيعة تحاقلية (trans-disciplinary) عابرة للتخصصات، لأن طبيعة "موضوعاته" تقتضي الجمع بين تخصصات تعنى أساسا بالأبعاد المادية للواقع الاجتماعي، وأخرى تركز بالحصر على جوانبه السيميائية. وأنا أزعم أن التحليل الاجتماعي النقدي يتمتع، بشكل أكثر تحديدا، بسمى "العبر-تخصصية"؛ إذ ينظر إلى الحوار بين التخصصات المختلفة والمتقاطعة على أنها مصدر التطور النظري والمنهجي لكل منها (انظر Jessop and Sum, 2001 حول البحث "ما بعد التخصصي" أو ""العابر للتخصصات""باعتباره – بمعنى ما – رجوعا إلى المواقف "ما قبل التخصصية" لكارل ماركس أو آدم سميث، على سبيل المثال؛ انظر أيضا Fairclough and Graham, 2002). يساهم التحليل النقدي للخطاب في ضوء هذه الاعتبارات في التأكيد على السيميائي و"نقطة الولوج" (point of entry) في التحليل الاجتماعي النقدي العابر للتخصصات (Fairclough, 2009b).

سيتم بنينة هذه المساهمة كما يلي؛ سأشرح، أولا، بالتفصيل ما قلته حتى الآن حول التحليل الاجتماعي النقدي، وسأناقش أكثر التحليل النقدي للخطاب بوصفه جزءا من التحليل الاجتماعي النقدي. وسأقدم، ثانيا وثالثا، نموذجا واحدا من التحليل النقدي للخطاب، ومنهجية بحث عابرة للتخصصات مرتبطة به. وسأوضح، رابعا وأخيرا، التحليل النقدي للخطاب من خلال مناقشة بعض جوانب الأزمة المالية والاقتصادية الحالية. هذا النموذج من التحليل النقدي للخطاب هو الذي قمت بتطويره واستخدامه في أعمالي الأخيرة. وهو يختلف في جوانب مختلفة عن النماذج الموجودة في المنشورات السابقة (على سبيل المثال: Fairclough, 1989, 1992, 2010).

1. التحليل النقدي للخطاب بوصفه جزءا من التحليل الاجتماعي النقدي

يتميز التحليل الاجتماعي النقدي عن أشكال التحليل الاجتماعي غير النقدية الأخرى بالنظر إلى الحقائق الاجتماعية القائمة على أنها قيود من إنتاج الإنسان، وهي قيود تقلل في بعض الأحيان، دون داع، من ازدهاره أو رفاهيته، وتزيد من المعاناة الإنسانية؛ واعتماد التفسير التاريخي لبروز مثل هذه الحقائق الاجتماعية في الوجود الواقعي والاجتماعي وكيفيته، فضلا عن بحث إمكانيات تحويل تلك الحقائق القائمة بطرق تعزز الرفاه وتقلل من المعاناة. لقد اقترحت، أعلاه، أن هذا النقد معياري وتفسيري ويهتم بالقيم والأسباب. بعض نماذج النقد معيارية أو أخلاقية فقط، لكنني أتبنى وجهة النظر (الماركسية) القائلة بأن تغيير العالم نحو الأفضل يعتمد على القدرة على تفسير كيف أصبح على ما هو عليه الآن. إن مجرد انتقاد لغة الناس وممارساتهم على أساس أنهم عنصريون شيء، ولكن تفسير أسباب بروز العنصرية وكيفيته واستحالتها ظاهرة خبيثة وسامة بين أشخاص معينين في ظروف محددة شيء آخر. إن النقد المعياري أو الأخلاقي البحت لا يكفي إذا كان الهدف هو تغيير الحقائق الاجتماعية نحو الأحسن؛ مع أن القيم والتقييم والنقد الأخلاقي جزء ضروري من العلوم الاجتماعية النقدية (Sayer, 2003).

أشرت، سابقا، إلى التقليد المسلم به في العلوم الاجتماعية النقدية والمتمثل في النظر إلى الواقع الاجتماعي على أنه "متوسط مفاهيميا" بحيث تكون "موضوعات" التحليل الاجتماعي النقدي ذات طبيعة مادية وسيميائية في الوقت نفسه. وهذا يعني أن العلاقات الجدلية بين المادي والسيميائي هي محور ضروري في كل من النقد المعياري والتفسيري. إن نموذج التحليل النقدي للخطاب الذي أركزه فيما سيأتي بِمُكْنَتِهِ توجيه النظر إلى هذه العلاقات المادية-السيميائية في البحث الاجتماعي النقدي العابر للتخصصات.

يتناول التحليل النقدي للخطاب، على سبيل المثال، الطابع الإيديولوجي للخطاب (Fairclough, 1989). لنأخذ على سبيل المثال التكوين التصوري المنطقي للميزانية العامة على أنها مطابقة لميزانية الأسر في الأسياسيات والمبادئ، وهو تفسير أثير لدى رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارغريت تاتشر (Margaret Thatcher) والعديد من السياسيين الآخرين، بحيث يتعين على الحكومات، عل سبيل المثال، الادخار وتوفير الميزانيات كما تفعل الأسر تماما. ينفتح ادعاء التطابق هذا على النقد المعياري بوصفه ادعاء كاذبا، ذلك أن هذا القياس لا يصمد أمام التدقيق الاقتصادي الجاد، وبوصفه إيديولوجيا، بمعنى أنه خطاب يمكن أن يساهم في إدامة نظام سوسيو- اقتصادي غير عادل وغير منصف. يجد المرء، حاليا، في المملكة المتحدة على سبيل المثال، أن المنطق العملي الذي يصدر عنه السياسيون الذين يؤيدون تقليص الإنفاق العام والخدمات العامة لانتعاش المالية العمومية في أعقاب استخدام الحكومة للمال العام لإنقاذ البنوك، الأمر الذي لا يهدد بتحويل الركود إلى كساد فقط، بل يمكن القول إنه يفرض على عامة الناس القدر الأعظم من عبء دفع تكاليف أزمة (المصرفيين). لشرح استراتيجية تحميل تكاليف إنقاذ الأسواق من نفسها للجمهور ووضعها على عاتقه، والتي توجد أمثلة تاريخية أخرى كثيرة لها، نحتاج إلى استحضار العوامل المادية والبنيوية المرتبطة بطابع الرأسمالية، ولكن أيضا العوامل السيميائية- بما في ذلك السلطة السببية للحس المشترك والتأويلات "المنطقية/ العقلانية" (commonsensical) في إحداث تأثيرات مادية؛ مسارات معينة داخل الأزمة أو خارجها. وبما أن الأسباب يمكن أن تكون سيميائية ومادية فيمكن للتحليل النقدي للخطاب، ضمن العلوم الاجتماعية النقدية، أن يساهم، في إطار مشروع، في إظهار العلاقات بين هذين الجانبين.

2. نموذج واحد من التحليل النقدي للخطاب

سأقدم في هذا القسم، بإيجاز، المفاهيم الأساسية والمقولات والعلاقات المرتبطة بهذا الإصدار من التحليل النقدي للخطاب الذي عملت عليه مؤخرا.

يستخدم الخطاب (Discourse) عادة بمعاني مختلفة؛ فقد يدل على (أ) تكوين المعنى بوصفه عنصرا من عناصر العملية الاجتماعية؛ وقد يستعمل للدلالة على (ب) اللغة المرتبطة بمجال/ حقل أو ممارسة اجتماعية معينة (الخطاب السياسي مثلا)؛ كما قد يستعمل للإحالة على (ج) طريقة تفسير مرتبطة بمنظور اجتماعي معين لجوانب من العالم (الخطاب النيو-ليبرالي للعولمة). أُفَضِّلُ، تجنبا للخلط والتشويش، استخدام السيميوزيس (semiosis) للمعنى الأول والأكثر تجريدا وعمومية (Fairclough et al., 2004) – والذي يتمتع بخصيصة إضافية تتمثل في الإشارة إلى أن تحليل الخطاب يهتم بـ"الطرائق السيميائية" (semiotic modalities) المختلفة، واللغة واحدة منها فقط (والبعض الآخر عبارة عن صور مرئية و"تعبيرات الجسد").

ينظر إلى السيميوزيس هنا على أنه عنصر من عناصر العملية الاجتماعية المرتبطة بعلاقة جدلية بالعناصر الأخرى. ومعنى أن العلاقة بين العناصر جدلية أنها مختلفة ولكنها غير "منفصلة" (discrete) أو منقطعة تماما؛ كل عنصر من العناصر "يستبطن" (internalizes) العناصر الأخرى دون أن يختزل إليها (Harvey, 1996). وهكذا فإن العلاقات الاجتماعية والسلطة والمؤسسات والمعتقدات والقيم الثقافية في جزء منها سيميائية؛ أي أنها تستوعب السيميوزيس دون أن تكون قابلة لأن تختزل إليه. ويعني هذا، على سبيل المثال، أننا يجب أن نحلل المؤسسات السياسية أو التنظيمات التجارية بوصفها موضوعات سيميائية، وسيكون من الخطأ التعامل معها على أنها سيميائية بحتة إذا لم نستطع طرح السؤال الأساسي: ما العلاقة بين البعد السيميائي والأبعاد الأخرى؟ لا يركز التحليل النقدي للخطاب على السيميوزيس في حد ذاته، بل على العلاقات بين الجوانب السيميائية والعناصر الاجتماعية الأخرى، وهي علاقات تختلف باختلاف طبيعة العلاقة بين المؤسسات والتنظيمات وحسب الزمان والمكان، وهي علاقات يحتاج إلى التدليل عليها وإثباتها من خلال التحليل.

يمكن النظر إلى العملية الاجتماعية على أنها تفاعل بين ثلاثة مستويات من الواقع الاجتماعي؛ البنى والممارسات والأحداث الاجتماعية (Chouliaraki and Fairclough, 1999). "تتوسط" الممارسات الاجتماعية العلاقة بين البنى الاجتماعية العامة والمجردة وبين الأحداث الاجتماعية الخاصة والملموسة؛ تتشكل المجالات والمؤسسات والتنظيمات الاجتماعية وتبنى كشبكات للممارسات الاجتماعية. يركز التحليل في هذه المقاربة من التحليل النقدي للخطاب على علاقتين جدليتين؛ العلاقة بين البنية (الممارسات الاجتماعية بشكل خاص بوصفها مستوى وسيطا للتنظيم) والأحداث؛ أو بين البنية والفعل أو البنية والاستراتيجية، وفي كل منها، بين العناصر السيميائية وغيرها. هناك ثلاث طرق أساس يرتبط بها السيموزيس بعناصر أخرى من الممارسات الاجتماعية والأحداث الاجتماعية؛ بوصفها وجها من وجوه الحدث، وبوصفها تفسيرا (تمثيلا) لجوانب من العالم؛ وبوصفها تكوينا لهويات. وهناك ثلاث مقولات سيميائية؛ أو تحليلية للخطاب، تتطابق مع المقولات السابقة؛ النوع (genre) والخطاب(discourse) والأسلوب (style).

تعد الأنواع طرقا سيميائية للفعل والتفاعل، مثل الأخبار ومقابلات العمل أو التقارير أو المقالات الافتتاحية الصحفية أو الإعلانات في التلفزيون أو الأنترنت. يتفاعل سيميائيا وتواصليا جزء من القيام بعمل ما أو إدارة بلد ما بطرق معينة، وهذه الأنشطة لها مجموعات مميزة من الأنواع المرتبطة بها. وتعتبر الخطابات طرقا سيميائية لتفسير جوانب من العالم (المادي والاجتماعي والعقلي) التي يمكن تحديدها عموما انطلاقا من مواقف ومنظورات المجموعات المختلفة من الفاعلين الاجتماعيين؛ لا تفسر/ تمثل، على سبيل المثال، حياة الفقراء من خلال الخطابات المختلفة المرتبطة بممارسات اجتماعية مختلفة؛ في السياسة، والطب، والرعاية الاجتماعية، وعلم الاجتماع الأكاديمي، فقط، ولكن من خلال خطابات مختلفة في كل منها، والتي تتطابق مع تنوع الموقف والمنظور التصوري. أستخدم "التفسير" (construe) بدل "تمثيل" (represent) للتأكيد على أن عملية "فهم" (grasping) العالم من منظور معين نشطة وصعبة في غالب الأحيان (Fairclough, 2009a). وتحدد الأساليب على أنها هويات أو "طرق للوجود" (ways of being) في بعدها السيميائي؛ فكونك "مديرا" (manager)، على سبيل المثال، بالدُّرْجَةِ/ الطريقة الحالية في الأعمال التجارية والجامعات، هو جزئيا قضية تطوير الأسلوب السيميائي الصحيح.

إن نظم الخطاب (orders of discourse) هي البعد السيميائي لـ(شبكات) الممارسات الاجتماعية التي تشكل المجالات والمؤسسات والمنظمات الاجتماعية وغيرها (Fairclough، 1992)؛ أما النصوص فهي البعد السيميائي للأحداث. تحيل نظم الخطاب عل تكوينات معينة للأنواع المختلفة والخطابات المختلفة والأساليب المختلفة؛ إن نظم الخطاب، بهذا المعنى، بناء اجتماعي للتنوع السيميائي؛ إنها تنظيم اجتماعي للعلاقات بين الطرق المختلفة لتكوين المعنى؛ للأنواع والخطابات والأساليب المختلفة. فعلى سبيل المثال، إن شبكة الممارسات الاجتماعية التي تُكَوِّنُ مجال التعليم، أو أي نظام تعليمي أو منظمة تعليمية يتم تشكيلها سيميائيا بوصفها نظاما للخطاب. ينبغي أن تفهم النصوص؛ ليست المكتوبة فقط وإنما كذلك المنطوقة كالمحادثات والمقابلات والمتعددة الوسائط التي تدمج اللغة بالصور البصرية كالتلفزيون والأنترنت، بهذا المعنى الشامل. تتكون بعض الأحداث؛ مثل المحاضرة والمقابلة، بالكامل تقريبا من النصوص، بينما لا يتكون البعض إلا بحضور نسبي للنصوص؛ مثل لعبة الشطرنج.

يمكن إعادة تسييق (recontextualized) أو تجديد سياق الخطابات الناشئة في مجال أو مؤسسة اجتماعية معينة (استباقا للمثال؛ الخطاب الاقتصادي النيولبيرالي الذي نشأ في الاقتصاد الأكاديمي والأعمال) في مجالات أخرى؛ على سبيل المثال في المجال السياسي، أو التعليمي الأوسع. إن إعادة التسييق هذه ذات طابع متنافر (ambivalent) (Chouliaraki and Fairclough, 1999): يمكن النظر إليها على أنها "استعمار" (colonization) مجال أو مؤسسة من لدن مجال أو مؤسسة أخرى، ولكن يمكن أيضا اعتبارها "استيلاء" (appropriation) على الخطابات "الخارجية"، غالبا ما يدمج الخطابات في الاستراتيجيات التي تنهجها مجموعات معينة من الفاعلين الاجتماعيين في مجال إعادة التسييق.

يمكن تفعيل وتشغيل (operationalized) الخطابات أو "وضعها ضمن الممارسة" في ظل ظروف معينة؛ وهي عملية جدلية ذات أبعاد ثلاثة؛ فقد تنشط وتفعل وتمارس بوصفها طرقا جديدة للفعل والتفاعل، أو قد تُطَبَّع وترسخ وتؤصل (inculcated) باعتبارها طرقا للوجود (الهويات)، أو قد تجسد ماديا بوصفها، على سبيل المثال الهندسة المعمارية، طرقا لتنظيم الفضاء. قد يتخذ تكريس الخطابات وتأصيلها وترسيخها في حد ذاته أشكالا سيميائية مختلفة؛ يمكن ترسيخ وتكريس خطاب الإدارة الجديد (مثل خطاب الإدارة العامة التسويقي الجديد؛ والذي غزا مجالات القطاع العام كالصحة والتعليم) كإجراءات إدارية، تتضمن أنواعا جديدة من التفاعل بين المديرين والعاملين، أو قد تُطَبَّعُ بوصفها هويات تتضمن سيميائيا أساليب النمط الجديد من المديرين. إن الموجهية (modality) أساسية ومهمة فيما قررته؛ فقد صغت عمليات التطبيع والترسيخ والتكريس السابقة كاحتمالات (قد= may) للدلالة على أنها ليست حتمية بل مشروطة (contingent)؛ بمعنى أنها قد تحدث وقد لا تحدث اعتمادا على جملة من العوامل والشروط المادية والسيميائية (Fairclough et al., 2004).

يتأرجح التحليل النقدي للخطاب، كما أشرت، بين التركيز على البنى (خاصة المستوى المتوسط لبنينة الحياة الاجتماعية) والتركيز على الاستراتيجيات، وبين التركيز على التحولات في بنينة التنوع السيميائي (نظم الخطاب) والتركيز على استراتيجيات الفاعلين الاجتماعيين الذي يظهرون أنفسهم في النصوص. ينصب الاهتمام الأساس والمركزي في كلا التصورين على تحول العلاقات بين الأنواع، وبين الخطابات، وبين الأساليب؛ يحقق التغير في البنية الاجتماعية في العلاقات بينها ديمومة واستقرارا نسبيين في أنظمة الخطاب واستمرارية اشتغال العلاقات بينها في النصوص. ينصرف مفهوم التضفير الخطابي (interdiscursivity) للحالة السابقة، إن التضفير الخطابي للنص جزء من تناصه (intertextuality)؛ (Fairclough, 1992) إنه سؤال حول الأنواع والخطابات والأساليب التي يعتمدها النص وكيفية عمله في مفصلتها بطرق معينة. يشمل التحليل النصي تحليلا لسانيا وتحليلا، أحيانا، للصور البصرية و"تعبيرات/ لغة الجسد"، ويمكن إدارك سمات النصوص هذه على أنها تحقق سماتها البين-خطابية (interdiscursive).

3. منهجية بحث عابرة للتخصصات

يدعو التركيز، المشار له سابقا، على العلاقات بين السيميوزيس والعناصر الأخرى إلى بحث عابر للتخصصات، وبشكل أكثر دقة؛ يقتضي دمجَ التحليل النقدي للخطاب ضمن أطر بحث عبر-تخصصية. ومن الأمثلة على ذلك الإطار الذي استعملته في منشوراتي الأخيرة، "الاقتصاد السياسي الثقافي"، الذي يدمج بين عناصر من ثلاثة تخصصات/ حقول معرفية؛ شكل من أشكال التحليل الاقتصادي، ونظرية الدولة، والتحليل النقدي للخطاب (Jessop, 2004; Fairclough, 2006). وما يميز العابر-للتخصصات (transdisciplinary) عن غيره من أشكال البحث البين-تخصصي (interdisciplinary) أو المتداخل التخصصات هو اعتباره الجمع بين التخصصات والنظريات لمعالجة قضايا بحثية والحوار بينها مصدرا للتطوير النظري والمنهجي للتخصصات المدمجة معا؛ يقدم إعادة التسييق أو تجديد السياق، على سبيل المثال، كمفهوم ومقولة في التحليل النقدي للخطاب من خلال حوار مع سوسيولوجيا البيداغوجيا لبازل برنشتاين (Basil Bernstein) حيث نشأ أول مرة (Chouliaraki and Fairclough, 1999).

أستعمل المنهجية (methodology) بدل المنهج أو الطريقة (method) للدلالة على أنه يجب أن تفهم على أنها عملية عابرة للتخصصات في بناء موضوع بحثي نظريا (Bourdieu and Wacquant, 1992) لمشروع بحثي؛ تختار طرائق/ مناهج معينة وفقا لكيفية بناء وهيكلة موضع البحث. لا يتعلق الأمر على هذا الأساس، إذن، بمجرد "تطبيق المنهج/ الطريقة" بالمعنى السائد؛ إذ لا يمكننا الفصل النهائي بين النظرية والمنهج. يرتبط هذا النموذج من التحليل النقدي للخطاب بطريقة عامة، والتي أشرت لها في الفقرة الأخيرة من القسم الأخير، لكن الطريقة الخاصة المستعملة في بحث معين تبرز من العملية النظرية لهيكلة وبناء موضوعه.

يمكننا تحديد "خطواتٍ" أو "مراحلَ" في المنهجية؛ هناك أجزاء أساسية من المنهجية (ما يتعلق بتنظيمها النظري)، وعلى الرغم من أنه من المنطقي جزئيًا الانتقال من واحدة لأخرى (ما يتعلق بتنظيمها الإجرائي)، فإن العلاقة بينها في إجراء البحث ليست مجرد علاقة تنظيم تعاقبي. تحتاج، على سبيل المثال، "الخطوة" المشار لها أدناه بـ"بناء موضوع البحث (الخطوة الثانية من المرحلة الأولى) أن تتقدم الخطوات اللاحقة، ولكن من المنطقي أيضا "العودة" إليها ومراجعتها دوريا في ضوء الخطوات اللاحقة، مع عد صياغة وتشكيل موضوع البحث الشغل الشاغل للباحث طوال الوقت. ومن المفيد التمييز أيضا بين "النظري" و"الإجرائي" ونظام "التمثيل" المختار اعتماده في كتابة ورقة بحثية؛ تؤثر، على سبيل المثال، العوامل البلاغية الأخرى على النظام الذي يعرض خلاله المرء تحليله.

يمكن النظر إلى المنهجية على أنها شكل مختلف من "النقد التفسيري" لبهاسكار (Bhaskar) (Bhaskar 1986, Chouliaraki and Fairclough, 1999)، والذي من الممكن صياغته في أربعة "مراحل" يمكن توسيعها بإسهاب على أنها "خطوات":

- المرحلة الأولى: التركيز على الخطأ الاجتماعي في جوانبه السيميائية.
- المرحلة الثانية: تحديد العوائق الحائلة دون معالجة الأخطاء الاجتماعية.
- المرحلة الثالثة: النظر في ما إذا كان النظام الاجتماعي "يحتاج" إلى الخطأ الاجتماعي.
- المرحلة الرابعة: تحديد الطرق الممكنة للتغلب على العوائق.

المرحلة الأولى: التركيز على الخطأ الاجتماعي في جانبه السيميائي

يعد التحليل النقدي للخطاب شكلا من أشكال العلوم الاجتماعية النقدية الموجهة نحو فهم أفضل لطبيعة الأخطاء الاجتماعية ومصادرها، والمعيقات الحائلة دون معالجتها، والطرق الممكنة لتجاوزها والتغلب عليها. يمكن فهم الأخطاء الاجتماعية (Social wrongs)، بمعنى أوسع، على أنها جوانب من الأنظمة الاجتماعية أو الأشكال أو النظم التي تضر برفاه

ورخاء الإنسان. ويمكن من حيث المبدأ تحسينها، إذا لم يتم اجتثاثها، ربما من خلال إحداث تغييرات كبيرة في هذه الأنظمة أو الأشكال أو النظم. ومن الأمثلة على ذلك الفقر، أو أشكال اللامساواة، أو انعدام الحرية، أو العنصرية. وما يشكل "خطأ اجتماعيا"، بطبيعة الحال، مسألة مثيرة للجدل، وينخرط التحليل النقدي للخطاب في النقاش والحجاج الدائرة حول هذه المسألة طوال الوقت.

يمكننا تفصيل المرحلة الأولى في خطوتين:

الخطوة الأولى: اختيار موضوع بحث يتعلق بخطأ اجتماعي أو يدل عليه، ويمكن مقاربته بمنهجية مثمرة عابرة للتخصصات، مع التركيز، بشكل خاص، على العلاقات الجدلية بين "اللحظات" السيميائية وغيرها.

قد نستنتج أن مثل هذه المقاربة، على سبيل المثال، ربما تكون "مثمرة" نظرا لوجود سمات سيميائية مهمة للموضوع لم يُعن بها كفاية. قد تنجذب عنايتنا إلى موضوع ما لبروزه في الأدبيات الأكاديمية ذات الصلة، أو لأنه محور اهتمام عملي في الحقل أو المجال موضوع القضية (الأزمة المالية الحالية مثال لهما). تعطى المواضيع ويسلم بها وتختار فعليا أحيانا؛ من قد يشكك، مثلا، في أن "الهجرة" أو "الإرهاب" أو "العولمة" أو "الأمن" موضوعات ذات أهمية راهنية لآثارها الكبيرة على رفاه الإنسان بما يحتم على الباحثين تناولها. إن اختيار مثل هذه الموضوعات يتسم بخصيصة التأكد من أن البحث على علاقة بالقضايا والمشاكل والأخطاء المعاصرة، غير أن وضوح هذه الموضوعات يستبطن خطر المبالغة في تقديرها. لا يمكننا أن نفترض أن مثل هذه الموضوعات هي موضوعات بحثية متماسكة؛ إنها تحتاج إلى التنظير لها لتستحيل موضوعات قابلة للبحث.

الخطوة الثانية: بناء موضوعات بحثية بالتحديد الأولي لموضوعات البحث من خلال التنظير لها من منهجية عابرة للتخصصات.

سأستعين، للتوضيح، بالمثال المتوقع تَنَاوُلُه في القسم اللاحق من هذه المساهمة. حدد موضوع البحث الأولي في الأزمة المالية والاقتصادية الحالية. وهذا الموضوع بهذا التحديد موضوع ضخم وفضفاض، ويمكن مقاربة جوانب مختلفة منه، بشكل منتج، من خلال التركيز على العلاقات الجدلية بين اللحظات السيميائية والمادية. إن بناء موضوعات بحثية هو عملية عابرة للتخصصات، لذلك يحتاج إلى تقرير الموضوعات المرتبطة في العلوم والنظريات الاجتماعية التي يلزم التعامل معها. يعد إطار عمل "الاقتصاد السياسي الثقافي" الذي ذكرته سابقا خيارا جيدا في هذه الحالة، على الرغم من إمكانية دمجه بمقاربات أخرى (على سبيل المثال، فيما يتعلق بـ"الاقتصاد الأخلاقي"، انظر Sayer، 2004). تشمل الأخطاء الاجتماعية التي يمكن التركيز عليها في هذا الموضوع؛ الهيمنة المسلم بها، إلى حد كبير، للنظام الاقتصادي "النيوليبرالي، والتي تبين أنها معيبة للغاية، لنتائجها الوخيمة على عدد كبير من الأفراد؛ جشع المصرفيين الذي ساهم في الأزمة وفي زيادة اللامساواة في الثروة والدخل، والتي لها عواقب اجتماعية سلبية مختلفة؛ سياسات بعض الحكومات الرامية إلى تحميل الأفراد العاديين معظم عبء إصلاح المالية العمومية المستنفذة نتيجة دعم البنوك على سبيل التمثيل. ولكل من هذه الجوانب جوانب أخرى سيميائية. قد يكون بناء موضوع بحثي مرتبط بالحالة الأولى بالتركيز على "الأفكار" النيوليبرالية (الخطابات سيميائيا) التي بُلِّغت وشكلت النظام الاقتصادي الجديد واستخدمت لترسيخه وتطبيعه وشرعنته وتطبيع الآثار المادية لهذه الأفكار/ الخطابات.

المرحلة الثانية: تحديد العوائق الحائلة دون معالجة الخطأ الاجتماعي

تقارب هذه المرحلة الخطأ الاجنماعي بطريقة غير مباشرة، إلى حد ما، من خلال التساؤل عن الطريقة التي تبنى وتنظم بها الحياة الاجتماعية بكيفية تحول دون معالجة الخطأ الاجتماعي. ويقتضي تحليل مثل هذه التساؤلات تحليل النظام الاجتماعي، وتبعا لذلك قد تكون "نقطة الولوج" في هذه العملية سيميائية، وهذا يستلزم اختيار وتحليل "النصوص" المرتبطة بالموضوع، ومعالجة العلاقات الجدلية بين السيميوزيس والعناصر الاجتماعية الأخرى.

يمكن صياغة الخطوات الثلاثة التي تُكَوِّنُ هذه المرحلة فيما يلي:

الخطوة الأولى: تحليل العلاقات الجدلية بين السيميوزيس والعناصر الاجتماعية الأخرى؛ أي بين نظم الخطاب وعناصر الممارسات الاجتماعية الأخرى من جهة، وبين النصوص والعناصر الأخرى للأحداث.

الخطوة الثانية: اختيار النصوص ونقط التركيز والمقولات لتحليلها في ضوء، وبشكل مناسب، بنية موضوع البحث.

الخطور الثالثة: أجرأة تحليل النصوص سواء التحليل البين-خطابي أو التحليل اللساني السيميائي.

تدل هذه الخطوات الثلاثة مجتمعة على سمة مميزة لهذا النموذج من التحليل النقدي للخطاب: التحليل النصي ليس إلا جزءا من التحليل السيميائي (تحليل الخطاب)، إذ ينبغي تأطير الأول ضمن الأخير. والهدف من ذلك هو تطوير "نقطة ولوج" سيميائية معينة إلى موضوعات البحث التي شُكِّلت بطريقة عابرة للتخصصات من خلال الحوار بين النظريات والتخصصات المختلفة. لا يمكن لتحليل النصوص أن يساهم بشكل فعال في ذلك إلا بقدر ما يقع ضمن تحليل أوسع لموضوع البحث، من حيث العلاقة الجدلية بين العناصر السيميائية والعناصر الأخرى، وهو التحليل الذي يفهم العلاقات بين مستوى الممارسة الاجتماعية ومستوى الأحداث الاجتماعية (وبين نظم الخطاب والنصوص).

المرحلة الثالثة: النظر فيما إذا كان النظام الاجتماعي "يحتاج" للخطأ الاجتماعي

ليس واضحا تماما ما يعنيه هذا، وسوف أعمل على توضيحه باستعادة المثال التوضيحي الذي أعتمده في القسم اللاحق. ففيما يتعلق بالخطأ الاجتماعي المحدد سابقا؛ تحاول الحكومات إرغام الناس العاديين على تحمل التكاليف الناتجة عن الأزمة المالية والاقتصادية الحالية. بأي معنى قد "يحتاج" النظام الاجتماعي لهذا؟ قد تكون الإجابة العامة هي إبراز أن الرأسمالية لم تؤكد تاريخيا على القيمة العليا للأسواق فحسب، بل أكدت، بدرجات متفاوتة، على الحاجة في العمل إلى الحد الأدنى من التحكم والسيطرة السياسية والاجتماعية، زاعمة أن من مهمات الدولة إنقاذها من الأزمات الدورية الحادثة (المنتظمة والقابلة للتنبؤ). تقودنا المرحلة الثالثة إلى النظر إلى الخطأ الاجتماعي المبأَّر فيما إذا كان متأصلا ومتجذرا في النظام الاجتماعي، وبالتالي إمكانية معالجته داخله، أو تغييره مطلقا. ولهذا يمكن عد هذه المرحلة طريقة لربط "الكائن" (is) بـ"الواجب" (ought)؛ إذا كان من الممكن إبراز وتأكيد أن النظام الاجتماعي يؤدي بطبيعته إلى أخطاء اجتماعية كبرى، فهذا سبب مقنع للتفكير في ما ينبغي تحويله وتغييره. تتعلق هذه المرحلة أيضا بقضايا الإيديولوجيا؛ يكون الخطاب إيديولوجيا بقدر ما يساهم في إدامة علاقات معينة من السلطة والهيمنة.

المرحلة الرابعة: تحديد الطرق الممكنة للتغلب على العوائق

تنقل المرحلة الرابعة التحليل من النقد السلبي إلى النقد الإيجابي، وذلك من خلال تحديد الإمكانيات، مع التركيز على العلاقات الجدلية بين السيميوزيس والعناصر الأخرى ضمن العملية الاجتماعية الكائنة للتغلب على العوائق الحائلة دون معالجة الخطأ الاجتماعي المعني. يتضمن ذلك تطوير "نقطة ولوج" سيميائية للبحث في الطرق التي يتم من خلالها اختبار هذه العقبات وتحديها ومقاومتها، سواء أكان ذلك من خلال مجموعات أو حركات اجتماعية أو سياسية منظمة، أو من خارج الإطار الرسمي؛ أي عبر أسيقة حياة الأفراد العادية العملية والاجتماعية والأسرية. سيشمل التبئير السيميائي على وجه التحديد، في حالة الأزمة، المثال المعتمد دائما، الطرق التي تتنافس بها الخطابات والسرديات والحجج، وغير ذلك، الخاصة بمجال الأعمال والحكومات وتعويضها بأخرى كجزء من النضال ضد الاستراتيجيات السائدة ودعم البدائل.

4. مثال توضيحي؛ بحث نقدي للأزمة المالية والاقتصادية

إذا كانت أحداث الأزمة المالية والاقتصادية واضحة نسبيا، فإن العوامل المسببة لها أكثر غموضا وإثارة للجدل. قدمت العديد من التفسيرات المتمايزة عن بعضها البعض في الوزن النسبي التي تعطيه للأسباب البينوية (مثل "دورات" الاقتصاد

المتكررة) مقابل الفاعلية (agential) أو "الذاتية" (مثل فشل- جشع ولاكفاءة وغيرها- المصرفيين أو وزراء الحكومات أو المنظمين والمراقبين). تدرك معظم التفسيرات، بوعي أو بدونه، أن السيميوزيس، أو الخطاب، محتم تصوره في التفسيرات. يخلص روجر بوتل (Roger Bootle)، على سبيل المثال، وهو خبير ومستشار اقتصادي بريطاني محترم، بعد تحديد الأسباب الرئيسية للأزمة في عوامل ثمانية إلى أنه من الممكن تركيزها في سبب واحد يمكن اعتباره هو الذي كان وراء الأزمة؛ ويقصد به تأثير الأفكار الاقتصادية (Bootle, 2009)، وعلى الأخص فرضية كفاءة السوق (efficient market hypothesis)؛ الفكرة القائلة، في شكلها المتطرف، إن الأسواق على حق دائما، والتي عوملت بوصفها حقيقة ثابتة بدل اعتبارها مجرد فرضية. إن ما يسميه بوتل "أفكارا" يرقى إلى السيميوزيس أو الخطاب، وبشكل أكثر تحديدا، يمكننا القول خطابا عن (أو حول) الأنشطة الاقتصادية (بما في ذلك المالية)، (خطاب "كبير" يتضمن خطابات "صغيرة " Gee, 1999)، والتي، من بين أمور أخرى، تفسر "الأسواق" بطرق معينة (مثل "معرفة أفضل"، أو "فعالة"، أو "عقلانية" وغير ذلك). لقد كان هذا الخطاب قويا ومرموقا لدرجة أن اللاعبين الأساسيين في مجال الأعمال والحكومات والحوكمة المالية فشلوا في، أو رفضوا، رؤية ما يعتبره بعض المعلقين المدركين جيد للوضع خطرا شديدا بسبب الديون المتراكمة وبعض ما يسمى بـ"الابتكارات" في مجال التمويل وغير ذلك. يمكننا القول إن هذا الخطاب صار عقيدة. وقد تمت إعادة تسييقه على نطاق واسع، على سبيل المثال، في إطار "إجماع واشنطن" التابع لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وروج له دوليا، إن لم يفرض، كجزء من نموذج للرأسمالية الموجه بعمليات "التحول" من الاشتراكية إلى الرأسمالية في أوروبا الشرقية والوسطى. والتي فعلت وشرعنت وطبعت في ممارسات (سيميائيا في الأنواع) مثل تلك المرتبطة بتنظيم البنوك والمؤسسات المالية الأخرى بلمسة خفيفة (light-touch)، وجذرت (من خلال ضبط أمكنة العمل ووسائل الإعلام والتعليم) في هويات "الذوات" الاقتصادية (المنتجون والمستهلكون)، وسيميائيا في أساليبهم.

قد يكون تحليل هذه العمليات وتفسيرها جزءا محتملا من بحث موجه نحو الأزمة، والذي قد يسعى إلى اختبار وتقييم تأثير هذا الخطاب وتطبيقاته الإجرائية في إرساء النظام النيوليبرالي وصيانته وتطبيعه وإضفاء الشرعية عليه، ولكن أيضا لمعالجة كيف يمكن للخطاب أن يساهم في العجز الواضح للمصرفيين والمنظمين أو المراقبين والحكومات وغير هؤلاء عن فهم مخاطر هذا النظام وتوقع أزماته. ولكن يترتب على ما ذكرته سابقا أن موضوع مثل هذا الجزء من البحث ينبغي تنظيمه أو بناؤه بطريقة عابرة للتخصصات. يمكن للمرء، على سبيل المثال، أن يأخذ نظرية الهيكلة (theory of structuration) من الاقتصاد السياسي الثقافي التي تركز على العلاقات الجدلية بين البنى والاستراتيجيات، وتتضمن إطار عمل لتفسير كيفية اختيار بعض الاستراتيجيات واستدامتها من بين مجموعة متنوعة من الاستراتيجيات (وبتعبير التحليل النقدي للخطاب، إعادة تسييقها وتشغيلها). ما هي العوامل والظروف (السيميائية والمادية/ البنيوية) التي أدت إلى اختيار أو استبقاء استراتيجية النيوليبرالية (منذ السبعينات وما بعدها) ولحظاتها السيميائية (بما في ذلك الخطاب المرتبط بها والمشار له سابقا) بدلا من غيرها من الاستراتيجيات (Fairclough et al., 2004)؟ ويتضمن الاقتصاد السياسي الثقافي طرقا لمعالجة عمليات الفشل التنظيمي والإدراي المرتبطة بالتفسير التاريخي لليبرالية الجديدة في هذه الأزمة.

تتناول هذه الملاحظات بشكل تقريبي القضايا المتعلقة بالمرحلة الأولى من المنهجية، وتحديد الخطأ الاجتماعي (هيمنة نظام اقتصادي معيب، والذي تسبب فشله في إلحاق أضرار جسيمة بالكثيرين) مع جانب سيميائي مهم وبناء أهداف بحثية لمعالجته. إذا انتقلنا إلى المرحلة الثانية، فإن السؤال الجوهري هو: ما هي العوائق الموجودة، وهل ما زالت قائمة، الحائلة دون معالجة الخطأ الاجتماعي؟ لنركز على الفترة الحالية. قد يشير التحليل العابر للتخصصات للوضع السياسي والاقتصادي المعاصر إلى أن النظام النيوليبرالي والخطاب المرتبط به قد أضعفوا إلى درجة أن العوائق الحائلة دون تجاوزه، والتي من الممكن تحديدها قبل بضع سنوات، أصبحت أقل صعوبة بكثير. لكن هذا لا يعني أن أية استراتيجية جديدة معتمدة للحلول محل النيوليبرالية، مهما كانت، ما شأنها أن تعالج بالضرورة في أساسياتها الخطأ المركزي المطروح- فقد لا تتغلب الاستراتيجية الجديدة على مشاكل النظام الاقتصادي ذات الآثار غير العادلة (على سبيل المثال من حيث اللامساواة في الثروة والدخل)

والمسؤولة عن الأزمات المدمرة. يمكن استخدام تحليل النصوص المتأخرة والحالية، من التغطية الإعلامية والتعليق والنقاش حول الأزمة في المجال السياسي العام لدول مثل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية مثلا، لتحديد نطاق الخطابات (أو الخطاب) وموضعتها، ويمكن دمجها ضمن إطار عمل عابر للتخصصات مؤسس على الاقتصاد السياسي الثقافي، والذي، من بين أمور أخرى، يرسم خرائط للخطاب/الخطابات حول استراتيجيات الاستجابة للأزمة والتحرك نحو نظام اقتصادي قد يسهل انتعاش الاقتصاد. إن أحد التوجهات التي يمكن التركيز عليها، على سبيل المثال، هو تتبع استراتيجيات بعض الحكومات، بما في ذلك الحكومة البريطانية، لإعادة الوضع لما كان عليه قبل إدخال تعديلات طفيفة على النظم التنظيمية.

وفيما يلي، على سبيل التمثيل، مقتطف قصير من خطاب ألقاه رئيس الوزراء البريطاني جوردون براون (Gordon Brown) أمام رابطة الصحافة الأجنبية في لندن، يناير 2009:

> نحن نعلم الآن أن المؤسسات المالية دولية، وأن تدفقات رأس المال عالمية، ولكن هيئات التنظيم والإشراف والمراقبة لهذه المؤسسات ظلت حتى الآن وطنية. وهذا يعني أن لدينا تدفقات مالية مترابطة ومتشابكة إلى حد كبير، وهو ما يجعل الناتج المحلي الإجمالي العالمي (World Gross Domestic Product) ضئيلا للغاية، ولكن حتى الآن لا يوجد نظام فعال لضبط هذه التدفقات. ومع انتشار الركود في جميع أنحاء المعمور، فإننا نشهد لأول مرة نمو التدفقات عبر الحدود بشكل أبطأ من التدفقات المحلية، كما نشهد تفضيل البنوك للإقراض المحلي على الأجنبي. وهذا الاتجاه يجب أن يتوقف إذا أردنا تجنب خطر حدوث دوامة عالمية مدمرة من تقليص المديونيات ومن ثم تراجع العولمة مع ما يترتب على ذلك من نتائج سلبية على جميع اقتصاداتنا. وبوسعنا أن نحافظ على الإجماع على اقتصاد عالمي حر حيث تتمكن البلدان من الاعتماد على أسواق رأس المال لتمويل التنمية الأسرع التي تعود بالنفع علينا جميعا، ولكن فقط إذا تمكنا من توفير وسائل الاستجابة عندما تفشل هذه الأسواق (The Guardian, 30 January 2009).

لا يمكن لهذا المقتطف القصير سوى أن يعطينا انطباعا محدودا عن نكهة الخطاب بأكمله. إن "العولمة" التي يرمي براون إلى الدفاع عنها هي ما يمكن تسميته بشكل معقول "العولمة النيوليبرالية"، وهو يدافع عن الرأسمالية النيوليبرالية التي تمر بأزمة (ويعني هذا ضمنيا تفسير الأزمة كأزمة وليس كأزمة للنيوليبرالية). يتضمن الخطاب، دون تحويرات وتعديلات، سردية تؤصل وترسخ شرعية هذا الشكل من العولمة، "العولمة تنتج النمو الذي يؤدي إلى الرخاء للجميع وتقليل الفقر"، على الرغم من العيوب التي كشف عنها في هذا النموذج (على سبيل المثال؛ الاتجاهات الطويلة المدى لخفض الأجور وتقليص الهوة بين الفقراء والأغنياء)، وهو ما لا يعالجه، رغم فشله وما ترتب عليه من أزمات. يفسر سمات هذا النموذج ("المؤسسات المالية دولية"، و"تدفقات رأس المال عالمية"، و"التدفقات المالية شديدة الترابط وتساهم في جعل الناتج المحلي الإجمالي العالمي يبدو ضئيلا للغاية") على أنها ببساطة الطريقة التي يسير بها العالم اليوم، ويدين "تقليص المديونية"، وهو ما قد يكون عيبا. وينظر لها (بشكل مناسب وضمن الحدود المناسبة) على أنها استجابة معقولة "للاستدانة" المفرطة التي نظر لها على نطاق واسع على أنها سبب للأزمة المالية، و"خطر" و"دوامة مدمرة"، والتي من شأنها أن تؤدي إلى "نتائج كارثية على اقتصاداتنا كافة". وفي الوقت نفسه، يشير إلى أن "الإجماع" على مثل هذا "الاقتصاد العالمي الحر" يمكن أن يكون في خطر. والحل الذي يقدمه لهذا الخطر يكمن في التنظيم الدولي، "الذي يمكنه توفير وسيلة للاستجابة عندما تفشل هذه الأسواق"، على افتراض أنها ستفشل وستفعل. يبدو، من هذا الخطاب وغيره من الأدلة، أن الحكومة البريطانية ملتزمة باستعادة الوضع السابق مع تعديلات طفيفة، في بعض الحالات، بالاعتماد على الخطاب/ الخطابات والسرديات الخاصة بالسنوات الأكثر انتصارا للنيوليبرالية في الأسباب التي يقدمونها للأحداث والسياسات التي يقترحونها.

تتناول المرحلة الثالثة مسألة ما إذا كان النظام الاجتماعي يحتاج إلى الخطأ الاجتماعي. وتثير مسألة ما إذا كان من الممكن داخل النظام الرأسمالي تطوير وتنفيذ استراتيجية جديدة، يمكنها التغلب على الظلم ومخاطر الأزمات. وعلى الرغم من الجدال

بأن هذه التوجهات والمخاطر متوطنة ومتجذرة إلى حد ما في جميع أشكال الرأسمالية، فقد يحتج أيضا بأن أشكال الرأسمالية اختلفت أيضا، بشكل ملحوظ، في مدى التخفف من هذه الاتجاهات والمخاطر، وهو ما يشير من حيث المبدأ إلى إمكانية ظهور شكل جديد من الرأسمالية يخفف من أخطاء النيوليبرالية، على الرغم من أن هذا يترك الإشكال مفتوحا حول ما إذا كان ذلك ممكنا في الظروف العملية القائمة. تشترك، على سبيل المثال، الأشكال المختلفة للرأسمالية في الالتزام بـ"النمو" المستمر، ولكن يمكن القول إن الأزمات البيئية وأزمات الموارد (النفط والمياه)، التي تتعايش مع الأزمة المالية والاقتصادية الحالية، تجعل هذا الالتزام إشكاليا للغاية ومثيرا للتساؤل حول قدرات الرأسمالية في حد ذاتها على تقديم حلول حقيقية لأزماتنا المتعددة.

إن نوع التحليل الذي أقترحه، تماشيا مع المرحلة الرابعة، يجب أن يشمل الاستراتيجيات والخطاب/ الخطابات المرتبطة بها لتحويل النظام المالي والاقتصادي الراهن بطرق قد تبدأ في معالجة الأخطاء الاجتماعية المطروحة، بما في ذلك الاستراتيجيات الأكثر جذرية لتحقيق سيطرة اجتماعية أساسية أو جوهرية على تسيير الأسواق (وفي بعض الحالات التأميم الدائم لأجزاء أساسية من النظام المصرفي) واستراتيجيات "الاتفاق الأخضر الجديد " (Green New Deal) الذي يتعامل مع الأزمة البيئية. إن الهدف من التحليل العابر للتخصصات يشمل تحديد شروط الاحتمال والعوائق التي تحول دون اختيار هذه الاستراتيجيات والخطاب/ الخطابات واستبقائها. وفيما يلي مقتطف قصير من كتاب نيل لوسون (Neil Lawson) وجون هاريس (John Harris) "لا عودة للوراء":

تتلخص نقطة الانطلاق نحو مستقبل أفضل في الاعتراف البسيط بأن المجتمع الصالح لا يتوافق مع أصولية السوق... لا تحتوي الأسواق نفسها أبدا. إذ بدلا من ذلك، فإنها تستمر في البحث الدائم عن فرص جديدة لتحقيق المزيد من الأرباح. وهو ما يؤدي في نهاية الأمر إلى نتائج كارثية وعواقب مختلة، من بينها؛ المتاجرة (commercialisation) بحياة أطفالنا، وظهور ذلك النمط من الأدوات المالية المعقدة التي أدت إلى الانهيار الكامل للبيوت. ولا بد، لتحويل المجتمع في اتجاه مختلف، من تنظيم الأسواق وتقييدها من لدن القوي الاجتماعية- الدولة والمجتمع المدني. وعلينا أن ننشئ المؤسسات التي تجعل السواق خادما للمجتمع. (New Statesman, March 2009)

يمثل المؤلفون، أو يتخيلون، مجتمعا تكون فيه الأسواق "خادمة" للأماني والتطلعات والأهداف الاجتماعية لـ"المجتمع الصالح" (the Good Society)، و"تنظم وتقيد" من لدن "الدولة والمجتمع المدني". ويشار إلى طرق تحقيق ذلك بالمصطلحات الأكثر عمومية، مثل "إنشاء" و"المؤسسات". أما استراتيجيات تعبئة وحشد "المجتمع المدني" والدولة لإجبار الأسواق عل خدمة غايات مجتمعية وليس الأسواق فقط (على سبيل التمثيل "النمو") فهي قضية جذرية لدى براون (Brown) مقارنة مع آخرين. إن تضمين التحليل النقدي للخطاب ضمن الاقتصاد السياسي الثقافي يسمح لنا بتفسير الشروط السيميائية والمادية لإمكانية انتقاء هذه الاستراتيجية والخطاب/ الخطابات واستبقائها، والعوائق التي تعترض ذلك، والتي تبدو في هذه الحالة قوية جدا.

تعتمد هذه التعليقات فقط على جزء من نموذج التحليل النقدي للخطاب المقدم سابقا. ومن القضايا التي يمكن طرحها في التحليل هي إعادة تجديد سياق الخطاب/ الخطابات، وهو أمر ذو صلة بالصدى والتأثير الوثيقين بانتقاء بعض الخطابات دون غيرها. هيمنت، على سبيل المثال في صيف عام 2009، التغطية الإعلامية للأزمة في بريطانيا على "إصلاح المالية العمومية"، و"خفض الدين الحكومي"، و"التخفيض" في الإنفاق العمومي، والتي صورت على أنها الوسيلة الضرورية والأساس لتحقيق الاستقرار المالي. لقد أصبح السؤال عن "التخفيضات" التي ستجريها الأحزاب السياسية المتنافسة، ومدى عمقها وسرعتها، مهيمنا في الصفحات الأولى في الكثير من الصحف. هناك حجة جديدة تقول إن تحريض حزب المحافظين بشأن هذه القضية هو الذي أعيد تسييقه على نطاق واسع، ليس فقط في الأخبار، ولكن أيضا في الأعمدة الافتتاحية في قسم كبير من الصحافة، ونجح في تركيز أجندة الأزمة في الاستعداد لإجراء تخفيضات عميقة وسريعة. عندما تناول خطاب جوردون براون في مؤتمر حزب العمال في أكتوبر 2009 جزئيا أجندة "التخفيضات" هذه على حساب تفسيره السابق للإنفاق العام خلال الأزمة باعتباره "استثمارا"، كانت هذه الأقسام من الصحافة قد انتصرت "أخيرا"، وهي العبارة المفضلة لبراون. إن قضية التفعيل/ التشغيل

(والأسئلة المرتبطة بها حول كيفية تفعيل الخطاب/ الخطابات في الممارسات، سيميائيا، في الأنواع، وتجذيرها وترسيخها في الهويات، سيميائيا، في الأساليب، وتجسيدها في العالم المادي) ستصبح، من ناحية أخرى، ذات أهمية خاصة مع تقدم عملية انتقاء خطاب/ خطابات معينة، وتحقيق قدر من الهيمنة لها. وهكذا، فقد بدأت الحكومة الائتلافية (المحافظون والديموقراطيون الليبراليون) منذ انتخابات مايو 2010 في تفعيل أجندة "التخفيضات" من خلال تغيير وتقليص توفير الرعاية الاجتماعية والخدمات العامة بشكل كبير (انظر Chiapello and Fairclough (2002) لمناقشة تفعيل الخطابات في عملية ظهور "الرأسمالية الجديدة" منذ السبعينيات).

5. التطورات الأخيرة

ركزت أعلاه على نموذج واحد من مقاربتي في التحليل النقدي للخطاب، والتي تختلف عن النماذج السابقة التي أستخدمها بنفسي في أعمال سابقة وعن المقاربات التي طورها واستخدمها المشتغلون بهذا الحقل المعرفي. وسأختم هذه المساهمة بتوضيح كيفية تحول النماذج والمنهجيات المرتبطة بها وتطويرها وتعزيزها في عملية البحث، ولماذا وكيف تتغير أهداف ومناهج التحليل النقدي للخطاب (ويجب أن تتغير) تغير الظروف الاجتماعية و(الاقتصادية والسياسية والثقافية).

يمكن إعادة صياغة منهجية البحث المقدمة هنا كحركة من النقد (المعياري) إلى الفعل عبر التفسير- نقد الأخطاء الاجتماعية (المقابلة للمرحلة الأولى)، وشرح كيفية حدوثها واستمرارها (المرحلتان الثانية والثالثة)، وما الإجراءات التي ينبغي اتخاذها للتغلب عليها (المرحلة الرابعة)؛ أي من المشكل إلى التفسير فالحل. يمكن النظر إلى السياسات وصنع السياسة على أنها "حجاج عملي" (practical argumentation) حول المشاكل؛ حجاج حول ما يجب القيام به. يمكن أن يركز التحليل النصي في التحليل النقدي للخطاب على تحليل الحجج العملية (Fairclough and Fairclough, 2012)، مما يوفر طريقة للتحليل النقدي للحجج العملية حول كيفية حل مشاكل معينة (الأخطاء الاجتماعية). ويمكن النظر، علاوة على ذلك، إلى التحليل النقدي للخطاب نفسه على أنه حجة عملية؛ ينخرط هذا النوع من التحليل في المداولات (deliberations) التي تجري في مجالي السياسة والحياة اليومية، ويقيم حجج المشاركين الآخرين (الذين يقومون أيضا بتقييم حجج بعضهم البعض)، ويقدمون حججهم العملية حول ما ينبغي أو لا ينبغي القيام به (Fairclough, 2013).

أسمي هذا النموذج الجديد من مقاربتي "الحجاج الجدلي" (Fairclough, 2018a) (dialectical argumentation): طريقة للتفكير من نقد الخطاب إلى ما يجب القيام به لتغيير الواقع الحالي، عن طريق تفسير العلاقات بين الخطاب ومكونات الواقع الأخرى. فهو يبدأ من الخطاب، وينتقل إلى كيفية تغيير الواقع الاجتماعي؛ إن التحليل النقدي للخطاب هو أحد الطرق في نقد الواقع الاجتماعي القائم وتفسيره وتغييره.

يمكن النظر إل هذه التغيرات في التحليل النقدي للخطاب على أنها تعزز منهجية البحث التي عرضتها سلفا، ولكن جزءا من سبب التغييرات مصدره التحولات في الظروف والشروط الاجتماعية. لقد أدت الأزمة المالية والاقتصادية، المشار لها سابقا، إلى نقاش حاد حول الأخطاء التي ارتكبت في النظام الاجتماعي والاقتصادي لإحداث أزمة لم يتوقعها سوى عدد قليل جدا من الاقتصاديين وغيرهم من الخبراء. ماذا حصل؟ وما التغييرات المقتضاة في النظام؟ إن طبيعة المناقشات أمر بالغ الأهمية، نظرا للعواقب والنتائج الوخيمة للاستنتاجات المستخلصة منها والإجراءات المتخذة. يمكن أن يساهم التحليل النقدي للخطاب في التدارس والتدقيق النقدي للمناقشات من خلال تضمين الحجج العملية والمداولات في موضوعات البحث والمنهجية. ويشمل ذلك إخضاع وجهات نظرها للنقد المحايد (Fairclough and Fairclough 2018). قد قوضت جودة النقاش العام ليس فقط بسبب بروز "حوار الصم" (dialogue of the deaf)، ولكن أيضا بسبب الاستقطاب المتزايد في المعتقدات والقيم بين الجماهير المتعادية. وهذا الاستقطاب والخلاف العميق المتفاقم بفعل وسائل التواصل الاجتماعي، يؤدي إلى تعريض القيم الديموقراطية

الأساسية، مثل حرية التعبير، للخطر. وينبغي، في هذا السياق، للتحليل التقدي للخطاب أن يجد بؤرة جديدة في الدفاع عن الحرية بروح نقدية محايدة حقا، وخالية من أي تحزب إيديولوجي.

مراجع للاستزادة

- Fairclough, N. (2000). *New Labour, New Language?* London: Routledge.

عن الكتاب: تطبيق سهل المنال للتحليل النقدي للخطاب كتب لعموم القراء وغير المتخصصين.

- Fairclough, N. (2003). *Analysing Discourse: Textual Analysis for Social Research*. London: Routledge.

عن الكتاب: يناقش بعض تفاصيل المناهج والتحليل النصي في التحليل النقدي للخطاب/ ويوضح كيف يمكن استخدام التحليل النصي بشكل انتقائي لتعزيز البحث الاجتماعي في جملة من القضايا المختلفة.

- Fairclough, N. (2018). CDA as dialectical reasoning. In J. Flowerdew & J. Richardson (Eds.), *The Routledge Handbook of Critical Discourse Studies* (pp. 13-25). London: Routledge.

عن المقالة: سرد للتطورات الأخيرة في مقاربة التحليل النقدي للخطاب والذي تمت الإشارة إليه بإيجاز في القسم الأخير من هذه الورقة.

قائمة البيبليوغرافيا

- Bhaskar, R. (1986). *Scientific Realism and Human Emancipation*. London: Routledge.
- Bootle, R. (2009). *The Trouble with Markets: Saving Capitalism from Itself*. London: Nicholas Brealey.
- Bourdieu, P., & Wacquant, L. (1992). *An Invitation to Reflexive Sociology*. Cambridge: Polity Press.
- Chiapello, E., & Fairclough, N. (2002). Understanding the new management ideology: a transdisciplinary contribution from critical discourse analysis and new sociology of capitalism. *Discourse & Society*, *13*(2), 185–208.
- Chouliaraki, L., & Fairclough, N. (1999). *Discourse in Late Modernity*. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Fairclough, I., & Fairclough, N. (2012). *Political Discourse Analysis*. London: Routledge.
- Fairclough, N. (1989). *Language and Power*. London: Longman.
- Fairclough, N. (1992). *Discourse and Social Change*. Cambridge: Polity Press.
- Fairclough, N. (2006). *Language and Globalization*. London: Routledge.
- Fairclough, N. (2009). A dialectical–relational approach to critical discourse analysis in social research. In R. Wodak & M. Meyer (Eds.), *Methods of Critical Discourse Analysis* (2nd ed., pp. 162-186). London: Sage.
- Fairclough, N. (2010). *Critical Discourse Analysis* (2nd ed.). London: Longman.

- Fairclough, N. (2013). Critical discourse analysis and critical policy studies. *Critical Policy Studies*, *7*(2), 177-197.
- Fairclough, N. (2018a). CDA as dialectical reasoning. In J. Flowerdew & J. Richardson (Eds.), *The Routledge Handbook of Critical Discourse Studies* (pp. 13-25). London: Routledge.
- Fairclough, N. (2018b). Language, reality and power. In J. Culpeper, F. Katamba, P. Kerswill, R. Wodak, & T. McEnery (Eds.), *English Language: Description, Variation and Context* (2nd ed., pp. 447-456). London: Palgrave Macmillan.
- Fairclough, N., & Fairclough, I. (2018). A procedural approach to ethical critique in CDA. *Critical Discourse Studies. Special Issue: Ethics in Critical Discourse Studies*, *15*(2), 169-185. https://doi.org/10.1080/17405904.2018.1427121
- Fairclough, N., & Graham, P. (2002). Marx as critical discourse analyst: the genesis of a critical method and its relevance to the critique of global capital. *Estudios de Sociolinguistica*, *3*(1), 185-229.
- Fairclough, N., Jessop, B., & Sayer, A. (2004). Critical realism and semiosis. In J. Joseph & J. M. Roberts (Eds.), *Realism, Discourse and Deconstruction* (pp. 23-42). London: Routledge.
- Gee, J. (1999). *An Introduction to Discourse Analysis*. London: Routledge.
- Harvey, D. (1996). *Justice, Nature and the Geography of Difference*. Oxford: Blackwell.
- Jessop, B. (2004). Critical semiotic analysis and cultural political economy. *Critical Discourse Studies*, *1*(2), 159-175.
- Jessop, B., & Sum, N. L. (2001). Pre-disciplinary and post-disciplinary perspectives in political economy. *New Political Economy*, 6, 89-101.
- Marsden, R. (1999). *The Nature of Capital: Marx after Foucault*. London: Routledge.
- Sayer, A. (2004). Moral economy. Retrieved from http://www.lancs.ac.uk/fass/sociology/papers/sayer-moral-economy.pdf (accessed June 21, 2010).